

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . كثيراً ما نسمع العبارة أن على الإنسان أن يسلك في طريق الصلاح ، ويقوم بأعمال حسنة لكي ينال رضى الله . فما صحة هذا الكلام ؟

نعم ، هذا هو مفهوم غالبية الناس أنه لكي نرضى الله سبحانه وتعالى ، علينا أن نسلك في طريق الخير ، ونمارس الفرائض الدينية من صلاة وصوم ، ونقوم بأعمال الإحسان إلى الفقراء والمعوزين . وأنا عندما نقوم بذلك فمن المحتمل كثيراً أن يرضى الله عنا في يوم الدين . وكأن عند الله ميزاناً يزين فيه أعمالنا الصالحة ، مقابل آثامنا وخطايانا التي نرتكبها . فإذا رجحت الأعمال الصالحة دخلنا الجنة . فما مدى صحة هذا المفهوم ؟ وهل تستطيع حقاً أعمالنا الصالحة أن تدخلنا إلى دار النعيم ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات علينا أن نعود إلى كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس .

من الواضح أن كلمة الله تؤكد لنا ، كما نذكر دائماً في حلقات هذا البرنامج ، أننا كبشر خطاة . وأنه مهما قمنا من أعمال صالحة ، فإن هذا لن يبدل من حقيقة كوننا أناساً خطاة أمام الله القدوس البار . أمام هذه الحقيقة ، لم يكن عند الله سوى أن يقوم هو نفسه بعمل الخلاص . ولهذا أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح لكي يموت على الصليب ، للتكفير عن خطية الجنس البشري . وما على الإنسان الخاطئ لكي ينال رضى الله ، إلا أن يؤمن فقط بهذا الخلاص الذي أعده الله من أجله . وأن يؤمن بالتالي بموت المخلص المسيح البديلي عنه على الصليب ، وبقيامته المجيدة من بين الأموات . وبتعبير آخر إننا نخلص وننال رضى الله وغفرانه، بمجرد الإيمان فقط بالمخلص المسيح وعمله الكفاري . أي أننا نتبرر من خطايانا أمام الله عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح ، وليس نتيجة أي عمل صالح نقوم به .

قد يستغرب الكثيرون هذه الحقيقة ويتساءلون : هل من المعقول أن ننال غفران الله وقبوله بمجرد الإيمان فقط ، وبدون أي عمل نقوم به ؟ تجيبنا كلمة الله وبكل وضوح : نعم بالإيمان بالمخلص المسيح فقط . لكن السؤال الآن ما هو نوع هذا الإيمان المطلوب ؟ وهل الإيمان هو مجرد الإيمان اللفظي ؟ أم هو مجرد الإيمان التاريخي أن المسيح مات على الصليب من أجل خطايانا ؟ أم هو أعمق من ذلك بكثير ؟

سنحاول في لقاء اليوم الإجابة عن هذه التساؤلات . فماذا تعني أولا كلمة إيمان كلفظة . إن كلمة إيمان باللغة العربية مشتقة من كلمة آمن ، أمنا ، أي وثق به وأركن إليه فهو آمن . وآمن ، إيماننا به ، أي صدقه ووثق به ، خضع له وانقاد . والمؤمن هو المصدق خلاف الكافر . فالإيمان هو التصديق المطلق . وهو أيضا فضيلة فائقة الطبيعة ، بها نؤمن إيماننا ثابتا ، ونثق بكل ما أوحاه الله . وقد عرّف كاتب سفر العبرانيين وهو أحد أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس ، عرّف الإيمان بقوله: " أما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمر لا تُرى . " (عب ١١:١)

إن الإيمان إذن هو نظرة الثقة الكاملة والرجاء الأكيد بالمستقبل الذي أعده الله للمؤمن . وهو إيقان أي يقين ثابت بتلك الأمور السماوية والإلهية التي لا نستطيع أن نراها بالعين المجردة ، أو ندركها عن طريق حواسنا . لذلك لا نقدر تفسير الإيمان عن طريق المنطق البشري، أو معرفة خصائصه بواسطة الاستدلال الذهني. وعندما نريد أن نفهم الإيمان وندركه بواسطة حواسنا ، لبطل أن يكون إيماننا ، إذ أن الإيمان هو عكس العيان . فالإيمان كما ذكرنا قبل قليل هو فضيلة فائقة الطبيعة ، لهذا قد نجد صعوبة بالغة في الإيمان . فكيف نؤمن ونثق بأمر لا ندركها عن طريق الحواس ؟ أو ربما لا يفهمها ذهننا البشري ؟ فأنا لا أحتاج مثلا أن أؤمن بوجود الشمس أو الأرض والناس من حولي ، أو أي شيء أراه وألمسه . لكنني أحتاج أن أؤمن بوجود الله خالق السموات والأرض . لذلك امتدح الله ويمتدح كل إنسان يؤمن به وبوعوده .

يتطلب الإيمان ثلاثة أمور هامة . أولا: إقتناع الفهم أي الإقتناع الكامل بعقولنا في صحة ما نؤمن به . فالإيمان يتطلب أن أقتنع بذهني وبدون أي دليل أو برهان حسي بما أؤمن به .

ثانيا : تسليم الإرادة . إن الإيمان يعني كما رأينا قبل قليل ، التصديق والخضوع والإنقياد . فأن أؤمن بالله يعني أن أسلم إرادتي له وأخضع له دون قيد أو شرط ، وإلا لما أعتبر إيماني تصديقا لله وخضوعا له .

ثالثا : ثقة القلب . الثقة هي أساس الإيمان وعمدته . فكيف أؤمن إيماننا حقيقيا بوجود الله ، وبمحبته لي وبرحمته ، إن لم أثق به ومن كل القلب أنه إله صالح وحنّان وغفور ، وأنه قد هيا الخلاص من أجلي .

لعل السؤال الآن : ما هو موضوع الإيمان ؟ وهل يكفي مجرد إيماني بالله لكي أعتبر مؤمنا ؟ نجيب: إذا عدنا إلى العهد القديم من الكتاب المقدس ، فسنجد أن رجال الله الأتقياء قديما لم يؤمنوا فقط بوجود الله ، بل برهنوا عن إيمانهم هذا ، بخطوات جريئة تؤكد إيمانهم ، فحصلوا على تبرير الله . فها هو النبي نوح عندما أوحى له الله عن الطوفان الذي سيحدث ، صدق الله وآمن بكلامه . وتأكيذا لثقتة بكلام الله شرع في بناء الفلك حسب أمر الله له ، ودخل هو وجميع أفراد عائلته الفلك . وها هو إبراهيم الخليل نراه

يترك أرضه وعشيرته مؤمنا بوعود الله له . وقد عاش في خيام منتظرا وعد الله له بالمدينة السماوية . وبالإيمان قدّم إبراهيم ابنه اسحق ذبيحة لله ، مؤمنا أن الله قادر أن يقيم ابنه من الموت . لا بل صدّق وعد الله له ، أنه بإسحق سيدعى لك نسل . لهذا لم يكن غريبا أن يصبح إبراهيم الخليل أبا لكل المؤمنين . وكتب عن إيمانه العظيم رسول المسيحية بولس ، معتبرا إيمانه مثالا وقدوة لكل من يؤمن . ولهذا اعتبر الله إيمان إبراهيم هذا برا ، ولقد سجّل لنا الوحي عندها في سفر التكوين هذه الآية المعبرة : " **فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَحَسِبَهُ لَهُ بَرًا** . " (تك ١٥: ٦) . أي أن إبراهيم حصل على تبرير الله لخطايه بواسطة إيمانه فقط .

إنطلاقا من هذه القرائن عن دور الإيمان في العهد القديم في تبرير الإنسان ، نعيد طرح السؤال : ما هو موضوع الإيمان في العهد الجديد أي بعد مجيء المخلص المسيح ؟ أوبماذا نؤمن لكي نتبرر أمام الله ؟ كما ذكرنا في بداية هذا اللقاء فإن الله هو الذي أعد لنا الخلاص . ولهذا أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح إلى عالمنا ، لكي يحررنا من عبودية الخطية ، وليهبنا الغفران والحياة الروحية الجديدة والخلود . ولكي يقوم المسيح بعمله الإنقاذي هذا ، كان لابد له أن يموت على خشبة الصليب بدلا عنا ، أخذا عقاب آثامنا ، وأن يقوم من بين الأموات منتصرا على الموت والخطية ، وداحرا إبليس الشيطان .

إن موضوع الإيمان اليوم إذن هو المخلص المسيح ، وعمله الكفاري على الصليب ، وقيامته الظاهرة من بين الأموات . إن إيماني بالمخلص المسيح يعلن ، أنني أوّمن وأصدق أن المسيح مات على الصليب بدلا عني . وليس هذا فحسب ، بل أن الله سيهبني الغفران ، ويجعلني من أولاده ، بمجرد توبتي الصادقة ، وإيماني القلبي بالمخلص المسيح وما عمله من أجلي . ولهذا كتب رسول المسيحية بولس قائلا : " **متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة** . " (رو ٣: ٢٤ و ٢٥) أي أن الله يبررني ويغفر خطاياي بواسطة الإيمان فقط . الإيمان بالمخلص المسيح ، وعمله الكفاري على الصليب من أجلي . إذ كيف يعلم الله حقيقة إيماني ، إن لم أثق فعلا بما عمله المخلص المسيح من أجلي ، وأن أصدق أنه قادر على تطهيري من كل خطاياي .

يبدو واضحا لنا إذن أن الأعمال الصالحة ، ليس لها أي دور في تقربنا من الله ، فكيف بها بتبريرنا أمامه؟ إن التبرير وغفران الخطية نحصل عليهما، فقط عن طريق الإيمان القلبي الصادق بالمخلص المسيح . هذه هي عطية الله المجانية لنا ، أن تقبلنا بواسطة الإيمان بالخلّاص الذي أعدّه الله . فهل تراك تؤمن مستمعي الكريم وتثق بالمخلص المسيح ؟ وهكذا تتال الغفران عن خطاياك ، وتصبح من أولاد الله المبررين .